الفصل الرابع

الشعر الإسلامي
واستلهام قيم الانتفاضة

- المبحث الأول: الابتهاج بالانتفاضة والأمل بالنصر والعودة.
- المبحث الثاني: رثاء الشهداء وتهوين الموت في سبيل العقيدة.
- المبحث الثالث: الحل الإسلامي هو الطريق لإنقاذ فلسطين.

obeikandl.com

obeikandl.com

مقدمة

في ((٨ كانون الأول ١٩٨٧م، وأثناء عودة عمال قطاع غـــزة خرجـــت مقطورة من مستوطنة ((إيريز)) وانحرفت إلى الشارع الموازي لتحطم سيارتين مما أدى إلى مقتل عدد من الفلسطينيين من مخيم جباليا، وجرح آخرين))[١].

وبعد هذا الحادث دعا الشباب المسلم كافة سكان المخـــيم للمشـــاركة في جنازة الشهداء. وتحولت إلى مظاهرة قادها شباب حركة المقاومة الإسلامية[٢].

فكانت هذه الحادثة ((الشرارة التي أشعلت الفتيل، بقرار حركـــة المقاومـــة الإسلامية، بتصعيد الانتفاضة المباركة))[٣].

واستمرت التظاهرات قوية صامدة بالرغم من الممارسات القمعية من قبـــل الجيش الإسرائيلي[٤].

---

(١) القضية الفلسطينية من منظور إسلامي: ١٧٣.

(٢) انظر الانتفاضة المباركة ومستقبلها: ٥٢.

(٣) المرجع السابق: ٥٣.

(٤) انظر القضية الفلسطينية من منظور إسلامي: ١٨٤- وانظر: تفصيل ذلك في المبحث الثاني من الفصل الأول.

obeikandl.com

المبحث الأول

الابتهاج بالانتفاضة والأمل بالنصر والعودة

تُعَدُّ الانتفاضة في الأرض التي بارك الله فيها للعالمين نقطة تحول مهمة وبارزة في التاريخ الفلسطيني. فقد أحيت الأمل في وجود أمة ظن كثير من الناس أنه أهيل عليها التراب منذ زمن طويل، إلا أنها باقية وستظل كذلك إذا رجعت إلى شريعتها وأشعلت جذوتها في قلوب المسلمين كافة؛ ليصبحوا كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

فجاءت الانتفاضة مفاجئة القاصي والداني، بعظمة أولئك الأبطال الذين أنطقوا الحجر ليعلن نقمته على الصهاينة، ويذيقهم الموت في حين عجزت الدبابات والطائرات العربية عن إطلاق قذائفها للذود عن حياض المقدسات. فما أروع شجاعتهم واحتسابهم لأرواحهم عند الله جلَّ شأنه: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج: ٢٢/٤٠].

وقد كان العدو يعتقد أن هذه الثورة الجهادية ما هي إلا سحابة صيف سرعان ما تنقشع، إلا أن أبطال الانتفاضة أثبتوا للعالم كله أن هذه الأمة لن تموت مهما كانت الظروف قاسية. فاستمرت الانتفاضة قوية شاملة متصاعدة ذات روح جهادية لا تعرف الخوف ولا اليأس ولا الأهداف الآنية المحدودة. وقد

تطورت أسلحة الأبطال من حجارة إلى مقاليع إلى قنابل غاز وزجاجات حارقة وسكاكين[١].

وقد حفل الشعر الإسلامي بعديد من القصائد حول هذا الموضوع، فكانت هناك مؤلفات بأكملها تتحدث عن الانتفاضة وعن أبطال الحجارة، ومنها:

ديوان الانتفاضة للشاعر الناقد أحمد عبد الرزاق الخاني[٢]، وقد ضم هذا الكتاب بين دفتيه عديداً من القصائد التي قيلت في الانتفاضة المباركة، ومنها قصيدة المؤلف نفسه، بعنوان: لغة الحجارة[٣]:

ذكرى حرابِ الغادرينْ ... هتفت على الوترِ الحزينْ
فتمرَّد الإعصارُ يزـ ... ـأر بالعرينِ المستكينْ
من نفحةِ الخدِّ النديّ ... سرى عبيرُ الظافرينْ
تعطي دماؤهمُ أكـ ... ـلَ الكرامةِ كلَّ حينْ
فإذا الجهادُ يشبّ من ... شفقِ الهداةِ الباسلينْ
وإذا بأحفادِ الملا ... حمِ في الوغى مستبسلينْ

يصور الشاعر اشتعال جذوة الانتفاضة والدوافع التي أضرمتها. فحراب الغادرين التي ما فتئت تغرز في أجساد أبناء فلسطين هي التي فجرت الثورة.

---

(١) انظر: ملف الانتفاضة: ٧٠-١٢٥.

(٢) أحمد عبد الرزاق الخاني: ولد في حماة وبدأ دراسته فيها، ثم حصل على الشهادة الجامعية في اللغة العربية وعلوم التربية في جامعة دمشق، عمل في التدريس في سورية والسعودية وما يزال حتى الآن. له مؤلفات عديدة في الشعر والنقد وأدب الأطفال، انظر ديوان الشاعر: لحن الجراح.

(٣) ديوان الانتفاضة، دراسة أحمد الخاني: ١٠.

فسالت الدماء الزكية فداءً للمقدسات ولكرامة المسلمين، وانطلق أحفاد الملاحم إلى المعارك حاملين أرواحهم على أكفّهم.

ثم يعبر الشاعر عن إسلامية المعركة لأن الطريق إلى النصر إنما يمر عبر القوة ومن خلال الالتزام بكتاب الله، فيجعل الشاعر سورة الأنفال وما فيها من أمور الجهاد رمزاً للالتزام بالمنهج القويم[1]:

وتفجـــر البركـــانُ يثـــ ـــأرُ مـــن جنـــونِ الغاصـــبينْ
فـــإذا بأبطـــالِ الحجـــا رةِ للمنيّـــةِ بـــاسمينْ
الرعـــبُ؟ مـــات الرعـــبُ في درب الأبـــاةِ الثـــائرينْ
رضـــعوا الشـــهامةَ بالإبـــا ءِ زكـــا ببـــذلِ الناهضـــينْ
وهوى الفـــؤادُ علـــى جســـو رِ المـــوتِ هـــزّ الراقـــدينْ
فأعـــادهم أُسْـــداً تزمـــ ـــجرُ في وجـــوهِ الحاقـــدينْ

ويختم الشاعر القصيدة بإسباغ الحياة على الأقصى وقبة الصخرة فيراهما مستبشرين بهذه الوثبة الجهادية. يقول[2]:

فالمســـجدُ الأقصـــى بـــدا بالبـــذلِ وضّـــاءَ الجـــبينْ
والقبـــةُ الشـــمّاءُ تبـــ ـــسم عبر مـــوجٍ مـــن أنـــينْ
لغـــةُ الحجـــارةِ ترجمـــتْ إحســـاسَ شـــعبٍ لا يلـــينْ
صـــرختْ تقـــول لأمـــتي: هـــذا طريـــقُ الخالـــدينْ

(١) ديوان الانتفاضة: ١٣.

(٢) ديوان الانتفاضة: ١٤.

ويضم هذا الديوان قصيدة للشاعر عبد الرحمن العشماوي يستهلها بقوله[١]:

أبتاه ما زالت جراحي تترفُ والليلُ أعمى والمدافعُ تقصفُ

وبعد هذا المطلع الباكي يبرز الشاعر صوراً من المعاناة المريرة على لسان الطفل الفلسطيني، ثم يبدأ في تصوير الانتفاضة بعد أن مهد لها بذكر الدوافع[٢]:

ها نحن يا أبتي نعيدُ لقومنا شرفَ الدفاعِ عن الحِمى ونشرّفُ
طال انتظارُ صغارِكُم فتحركوا لما رأوا أن الكبارَ توقفوا
وتلفتوا نحو السلاحِ فما رأَوا إلا الحصى من حولِهم تتلهفُ
عزفوا بها لحنَ البطولةِ والحصى في كفِّ من يأبى المذلةَ تعزِفُ

يعبر الشاعر على لسان الطفل الفلسطيني عن ابتهاجه بالانتفاضة لكونها رمزاً للإباء والعزة. فالصغار تحركوا حين توقف الكبار، والحجارة تتلهف إلى الأيدي المجاهدة لتعزف بها لحن البطولة.

ويتابع الشاعر قصيدته معبراً عن عدالة قضية أولئك الأبطال الذي غدت الحجارة لغتهم، بعد أن أسكت الخنوع أصوات المتخاذلين، الذين شُغلوا بخلافاتهم عن حماية مقدساتهم، فيقول[٣]:

هذي الحجارةُ يا أبي لغةٌ لنا لما رأينا أننا لا ننصَفُ
لما رأينا أن أمتَنا على أرضِ الخلافِ قطارُها متوقفُ

(١) ديوان الانتفاضة: ١٥.

(٢) المرجع والصفحة نفسها.

(٣) ديوان الانتفاضة: ١٦-١٧.

بيني وبين حصى بلادي موعـــدٌ ما كان يعرفُه العـــدوُّ المرجـــفُ
يتعوذُ الرشّـــاشُ مـــن طلقاتهـــا ويفرّ منها المســـتبدُّ الأجـــوفُ
واجهتُ يا أبتي الخطوب وعُدّتي قلبٌ عصاميٌّ وحـــسٌّ مرهـــفُ
وتوجـــهٌ لله يجعـــل هـــامتي أعلى وإن جار الطغاةُ وأســـرفوا

أما الشاعر أحمد سالم باعطب[1] فقد هزته الانتفاضة وحاول أن ينفذ إلى ما وراء الوقائع ويستشرف آفاقها فهو يقول[2]:

ورأيـــتُ أطفـــالي وفي أيمـــانهم شهبٌ تخطّ شـــهامتي ومضـــائي
أسَرَ الزمانَ جهادُهم فـــإذا بـــه راوٍ ورســـام لهـــم وروائـــي
لما خوت مهجُ الرجالِ من الهدى وتمرَّغـــت في الزيـــغِ والأهـــواءِ
وعدتْ على كَرمي الثعالبُ جهرةً وتسلّل الـــذؤبانُ بـــين الشّـــاءِ
واعتل ميدانُ البطولـــةِ واختفـــى منه الكمـــاةُ وغـــصَّ بالجبنـــاءِ
شدّت إزارَ الجدِّ كـــلُّ خريـــدةٍ وشدا الصغارُ ملاحمَ العظمـــاءِ
في كل ثانيةٍ يغير علـــى العِـــدا حجرٌ يجلجـــل: إنـــني لفـــدائي

يرى الشاعر الانتفاضة المباركة دليلاً على الكرامة والشهامة والمضاء. فجهاد أولئك الأبطال أسر الزمان وصار يروي قصص البطولة، ويرسم ألـــوان العـــزة

---

(١) أحمد سالم باعطب: من مواليد ١٣٥٥هـ في جدة في السعودية، حصل على الشهادة الجامعية في التجارة من جامعة الملك سعود. عمل مدرساً ثم مدققاً في الخطوط السعودية، ثم عمل في مؤسسة النقد العربي السعودي، حتى أحيل على التقاعد، له ثلاثة دواوين مطبوعة. ومجموعات شعرية تحت الإعداد. (من سيرة ذاتية مرسلة من الشاعر نفسه).

(٢) ديوان الانتفاضة: ٣٢.

والشمم. في حين تخاذل الكبار، وجبنوا عن لقاء العدو متشاغلين بأهوائهم وضلالهم مما جرّأ العدو عليهم وعلى حرماتهم. ويشيد الشاعر بجهاد نساء الأرض المباركة ومشاركتهن الفعالة في الانتفاضة. ثم يُجري الحديث على لسان البطل الفلسطيني. فيقول[1]:

هذي الحجارة باليقينِ جلوتُها ... وسقيتُها من شيمتي ووفائي
ليست حصى لكنْ مشاعلُ وثبةٍ ... ونيازكٌ تأسو لواعجَ دائي
شهدتْ معي بيضَ السنينَ وأدركتْ ... غصصَ الكفافِ وندرةَ الخلصاءِ
ثارت غِضاباً حين بات مصيرُها ... ما بين سِمسارٍ وبين مرائي
خلعت جلاليبَ السكونِ وأضرمتْ ... نارَ الفداءِ فأطفأتْ بُرَحائي
ليت الأُلى نكصوا على أعقابِهم ... درسوا سماتِ النبلِ في حَصبائي

إن المجاهد يستمد القوة من يقينه بالنصر والعزة للمؤمنين وإن طال زمن الجهاد. وهذه الحصى تشنّ على العدو ثورة بسقوطها كالنيازك معلنة وفاء البطل لأرضه ومقدساته. فقد شهدت هذه الحصى أيام الرخاء والشدة فثارت غاضبة حين حاول العملاء بيع الأرض إلى العدو الغاصب، فأُضرمت نار الفداء والنبل فكانت مبعثاً للبهجة في النفوس التوّاقة إلى الغد الظافر.

والقصيدة الأخيرة التي أختارها من ذلك الديوان هي للشاعر الأردني يوسف أبو هلالة في قصيدته ((حاذر أن تساوم))، ويستهلها بالحديث الموجه إلى غزة

(١) ديوان الانتفاضة: ٣٤.

قلب الانتفاضة فيرى أن هذه الثورة تضمد جرح الهدى الغائر، وتفضح الصمت الذي يخيّم على الأمة وتعلن الحق الذي يواريه العدو الغاصب. فيقول[١]:

ضمِّدي جـرحَ الهـدى الغـا ئـرَ يـا غـزّة هاشـمْ
وافضحي الصمتَ الـذي شـا خ بأوكـارِ الهـزائمْ
واعلـني[٢] الحـق الـذي كـا نـت تواريـهِ المحـاكمْ

ثم يصور انطلاقة الثورة الإسلامية، فيراها بركاناً ناقماً ثائراً وسيفاً صارماً ثار على انحباسه في غمده، فتحولت الأنّات الجريحة إلى نغمات باسمة. وقاد أبطال الحجارة هذه الثورة مواجهين أعتى عدو، فتكلم الحجر كاشفاً كل زيف ومعلناً إسلامية الثورة مسكتاً كل الأصوات القومية[٣]:

وثـب البركـانُ مـن مضـ ـجعه وثبـةَ نـاقمْ
وعلـى الأغمـادِ ثـارت تلعـنُ الحـبسَ الصـوارمْ
أيُّ سـرٍّ جعـل الأنّـ ـاتِ أنغامـاً بواسـمْ؟
وخُطـا الأطفـالِ لا تـو قفُهـا أعـتى الـرواجمْ
ولسـانُ الحجـر الصّـا مـتِ فكّـاكُ الطلاسـمْ
إنـه الإسـلامُ فلتخـ ـرسْ أفـانينُ المـزاعمْ

ثم طفق الشاعر يمجّد الأم الفلسطينية التي تعلقت روحها بفلسطين فوهبت بنيها فداءً لها. كما يمجّد الأبطال الصغار الذين أعطوا وضحّوا في سبيل أرضهم

(١) ديوان الانتفاضة: ٣٨.

(٢) هنا ضرورة شعرية حيث جعل همزة القطع همزة وصل.

(٣) ديوان الانتفاضة: ٣٨.

المقدسة، والشعب العظيم الذي يسطر التاريخ موقفه بمداد من نور، والذي سيحقق النصر بعد جهاده المبارك بإذن الله[١]:

أيُّ أمٍّ روحُها فيـــ ـــحُ فلسطين المقاومْ
تهب الإسلام أشلا ءَ بنيها والجماجمْ
أي أطفالٍ جَناها وافرٌ وهي البراعمْ
أيها الشعبُ الذي با هت به ساحُ العظائمْ
أيها المطلِعُ وردَ النّـ ـصر من شوكِ الهزائمْ
كن مع اللهِ ولا تر جُ العلا من سعيِ آثمْ

ومن المؤلفات التي أفردت للحديث عن الانتفاضة ((ديوان الانتفاضة)) جمع وتقديم: أحمد موسى الخطيب. وقد ضم بين دفتيه عديداً من القصائد، اخترت منها ما يلي:

القصيدة الأولى للشاعر عبد الرحمن العشماوي يبرز فيها الدوافع التي فجرت الانتفاضة. فالشعب رازح تحت وطأة المحتل يسومه سوء العذاب، مما جعل حياته جحيماً لا يطاق، والأطفال عاشوا رهن الكآبة والحزن وكثير منهم فقد والده أو والديه، والمآسي تترى على هذا الشعب، في حين يصمت العالم أمام هذه المآسي الكبرى[٢]:

ما جئتُ أسأل عنكِ الصمتَ غلفنا فلم نُطِقْ بعده أن نبلغَ الأربا
بل جئتُ أسألُ إحساساً يحركُني إليكِ أسألُ جرحاً صار ملتهبا

(١) المرجع نفسه: ٣٩.

(٢) ديوان الانتفاضة جمع وتقديم: أحمد موسى الخطيب: ٣٩.

بل جئتُ أسأل طفلاً كان مكتئِبا ... بل جئتُ أسأل طفلاً كان مكتئِبا
وظل في زحمةِ الأحداث مكتئبا ... وظل في زحمةِ الأحداث مكتئبا
وجئت أسأل أيتاماً حناجرُهم ... وجئت أسأل أيتاماً حناجرُهم
بُحّتْ وما وجدت أُمّاً لهم وأبا ... بُحّتْ وما وجدت أُمّاً لهم وأبا
تلفتوا ورياحُ الظلمِ عاصفةٌ ... تلفتوا ورياحُ الظلمِ عاصفةٌ
والهاربون استلذّوا الخوفَ والهربا ... والهاربون استلذّوا الخوفَ والهربا
وأنصتوا فإذا الغربانُ تنشدُهم ... وأنصتوا فإذا الغربانُ تنشدُهم

ويتابع العشماوي حديثه عن الدوافع، ثم يعلن ابتهاجه بالانتفاضة، ويشيد بالحجارة سلاحاً في هذه المعركة. يقول[1]:

تأملوا في روابيهم فما وجدوا ... إلا الحصى أصبحتْ من حولهم لهبا
وكبّروا فإذا الآفاقُ تمنحهُم ... آذانَها وترى من أمرِهم عجبا
خاضوا معاركَهم والهاربون على ... أرائكِ الصمتِ يستفتون من ذهبا
قد جئتُ أسأل أطفالَ الإباءِ رمَوا ... عدوهم وأحالوا صمته صخبا
هذي انتفاضتهم شبّت مواقدُها ... فكيف نمنع عنها الزيتَ والحَطبا

إنه يشيد بأولئك الأبطال الذين جعلوا الحصى سلاحهم فكانت كاللهب يلقى على العدو الغاصب فحوّلوا أمنه خوفاً وحياته جحيماً. ويدعو الشاعر الأمة إلى مناصرة الشعب الثائر ودعمه ليظل موقد ثورته مشتعلاً، وتستمر انتفاضته حتى تعود الأرض حرة.

---

(١) المرجع نفسه: ٤٠-٤١.

والقصيدة الثانية في هذا الديوان هي للشاعر محمد أمين أبي بكر[١]، وقد أسماها: ((حجارة وجحيم)) والتقى مع الشعراء السابقين في استهلال القصيدة بذكر دوافع الانتفاضة فظلام القهر والعسف الذي يعيش فيه أبناء الأرض المحتلة هو الذي بعث هذه الثورة الجهادية. يقول[٢]:

في ظلامِ القهرِ في عصرِ الجمودِ ... أَنجبَ التاريخُ أعلامَ الأسودِ
في زمانِ العُقم في ليلٍ تمطّى ... فوق صدر اليُتم والشعبِ الشريدِ
أنبتتْ أصقاعُنا زهرَ الأماني ... يوقظ الأجيالَ من ذل الرقودِ

ثم يعلن عن انبثاق الثورة بركان انتقام من الباغين، وصمود شعب يأبى الذل، ويستطيب الجراح في سبيل العزة. ويصف الشاعر أثر الثورة في العدو الجبان وكيف تحولت حياته جحيماً من لظى الأحجار. وأشرقت الانتفاضة في ليل الأسى مجددة الآمال واستحالت الأرض المجدبة القفر إلى روض ورود بديعة، فيقول[٣]:

فجروا الأحجارَ بركانَ انتقامٍ ... روّع الباغين في ساح الصمودِ
واستطابوا الجرحَ في يوم عصيبٍ ... دمعُه نارٌ على كل الخدودِ
في حِمى الأقصى ومسرى مصطفانا ... جندلَ الأشبالُ أعداءَ الوجودِ
أشرقوا شمساً على داجي أسانا ... واستماتوا خلف أسوارِ الحدودِ
في ظلال الرعب ها هم قد أحالوا ... كلَّ قفرٍ مجدبٍ روضَ الورودِ

---

(١) محمد أمين أبو بكر: ولد في دمشق عام ١٩٥٠م، ودرس فيها ثم نال الشهادة الجامعية من بيروت، وعمل مدرساً في سورية ثم في السعودية وما يزال، نشر عدداً من القصائد في المجلات العربية. انظر مختارات من الشعر الإسلامي الحديث: ٣٧١.

(٢) ديوان الانتفاضة: ٥٦.

(٣) المرجع نفسه: ٥٦-٥٧.

ويصور أثر الانتفاضة في مدن فلسطين وبساتينها. فيقول[١]:

فانتشت حيفا وصاغت حول يافا برتقالاتِ الهوى عذبَ النشـــيدِ
واستهامت فوق هاتيك الـــروابي وشوشاتُ الغصنِ والطلعِ النضيدِ
بالحكايات التي فاضـــت إبـــاءً من شذا الليمونِ أو حبِّ الحصيدِ

إنه يرسم لوحة جميلة متفائلة، تصور حيفا وقد انتشت نواحيها، ويافا وقد صدح برتقالها بالنشيد العذب. وكل ما فيها مغرد جذلان.

ويعلن الشاعر في ختام القصيدة استمرار صمود أبطال الانتفاضة فكل طفل سوف يبقى قلعة تقاوم العدوان، وسيبقى المسلم الحر وفيّاً لربوع الأرض المباركة حتى يحقق الله على يديه النصر الأكيد[٢]:

كلُّ طفلٍ سوف يبقى في بلادي قلعةً تحمي بطـــولاتِ الجـــدودِ
أيها الأقصـــى ســـنبقى أوفيـــاءً للروابي الخضرِ والسيفِ النجيـــدِ
سوف نبقى لا نهابُ النارَ في سا ح الوغى مهما أعدّوا من حشودِ
سوف تأتي بعد أيـــامٍ غضـــابٍ من لهيبِ الحرب بالنصرِ الأكيـــدِ

أما ((ملف الانتفاضة)) فهو كتاب ثالث أفرد للحديث عن الانتفاضة. إلا أنه اختلف عن سابقيه بكونه كتاباً تاريخياً في معظمه، وفي نهايتـــه أورد المؤلف: راجي نصر الله، بعض القصائد التي قيلت في الانتفاضة، ومنه أختار قصيدتين:

---

(١) ديوان الانتفاضة: ٥٧.

(٢) المرجع نفسه: ٨٨.

الأولى: للشاعر الفلسطيني محمود مفلح، والتي أسماها: ((طفل العقيدة)) واستهلّها بقوله[١]:

هذا هو الردُّ لا شعرٌ ولا خطبُ ... وإنما ثورةٌ في الأرضِ تلتهبُ
نمدّ أجسادَنا للشمسِ نزرعُها ... على الصخورِ فيجري الماءُ والعشبُ
لقد تألق في آفاقِنا حجرٌ ... حتى رأيتُ إليه الغارَ ينتسبُ
هذا هو الردُّ من بعد الجفافِ ففي ... تلك الأكفِّ الدوامي ينضجُ العِنَبُ
شعب يرتل في أحجارِه سوراً ... ورحمةُ اللهِ فوق الجرحِ تنسكبُ

لقد غمرت الفرحة حنايا نفس شاعرنا، فنجده يرى في هذه الثورة المباركة رداً حاسماً على طغيان اليهود، إن أجساد الأبطال لم تعد تهاب شيئاً؛ فهم يواجهون العدو بحجارتهم وصدورهم مفتوحة للرصاص. وهو يرى في تألّق الحجر نماءً وزرعاً يوشك أن يثمر النصر، وآيات النصر ترتل من خلال هذه الحجارة.

وينوه شاعرنا بهذه الانتفاضة الباسلة فيقول[٢]:

شعبٌ يفجرُ تاريخاً وأوسمةً ... ومن خيامِ المآسي تطلع الشّهُبُ
من المساجدِ صاغ الصِّيد لحنَهمُ ... ومن منابرِها الشمّاءِ قد وثبوا
طفلُ الحجارةِ بل طفلُ العقيدةِ في ... مساقط النارِ لا خوفٌ ولا رَهَبُ
مشرّعُ الصدرِ والإجرامُ منطلقٌ ... رصاصُه ودمُ الإجرامِ منسكبُ
هذا هو الردُّ لا لاءٌ ولا نعمٌ ... ولا صراخٌ ولا لومٌ ولا عَتَبُ

(١) ملف الانتفاضة: ٣٧٥.

(٢) المرجع نفسه: ٣٧٥-٣٧٦.

ويتابع الشاعر حديثه مبتهجاً ممجداً هذا الشعب الذي شرع يسطر تاريخاً مشرقاً كالشهب تنطلق من خيام البؤس والتشريد الذي يعيشه أبناء الشعب الفلسطيني، ولكنهم مع ذلك كله جعلوا المساجد منطلق ثورتهم، وجعلوا المنابر تحرّض على الصمود، بلا خوف ولا رهبة من جند الباطل. ويعرّض الشاعر في ختام حديثه بواقع الأمة المتخاذل الصامت أمام الأهوال التي يعيشها إخوانهم في الأرض المحتلة مكتفين بإطلاق الشعارات شجباً واستنكاراً.

والقصيدة الثانية من هذا الكتاب للشاعر خالد أبي العمرين[1] الذي بدأ قصيدته بتوجيه الحديث إلى مدينة القدس مبرزاً مكانتها وقدسية المسجد الأقصى، ثم تابع حديثه معرباً عن ابتهاجه بالانتفاضة والأطفال الكبار؛ لمحبتهم لأرضهم المقدسة وغيرتهم عليها. ثم عرج يعرّض بتخاذل المسلمين عن مد يد العون لإخوانهم، والذب عن حياض حرماتهم فوصفهم بأنهم أموات لا يرجى منهم غوث. ثم عاد إلى تمجيد الصغار الذين فاقوا الكبار في شجاعتهم وتضحيتهم. إذ قال[2]:

وأرضي فوقها مليونُ شبلٍ ... وتحت أديمها الشهداءُ ثاروا
وأطفالُ الحجارةِ في بلادي ... كبارٌ في محبتِهم كبارُ
بلادي تأكل البلوى حشاها ... وينهشُ جيدَها ظلماً إسارُ

---

(١) خالد أبو العمرين: شاعر فلسطيني من المهاجرين إلى غزة، قضى في سجون اليهود سنتين من ١٩٦٨م إلى ١٩٧٠م، وفي السجن كتب كثيراً من قصائده، ونشرت له قصائد متفرقة في صحف الأرض المحتلة، وعمل مدرساً للّغة الإنجليزية في الكويت. (من أمسية شعرية مسجّلة بصوت الشاعر نفسه).

(٢) ملف الانتفاضة: ٤٠٥-٤٠٨.

فهل يُرجى من الأمواتِ غـوثٌ ... وهل تـروي برارينـا البحـارُ؟
وحيفـا إذ تنـاديكم هتفـتُم ... لكِ الأسفُ الشديدُ والاعتـذارُ
أفيكم يا شبابَ الجيـلِ سـعدٌ ... وعكرمـة يبايعـهُ الكبـارُ؟
على اليرمـوكِ أعـلامٌ تجلـتْ ... معـامعُ لا يُشـقُّ لهـا غبـارُ
وأَسرجْنا النجـومَ لنـا مطايـا ... إلى العليـاءِ رافقَنـا انتصـارُ
شبابَ الجيـلِ قولوهـا تـدوّي ... فلن يُجـدي يمـينٌ أو يسـارُ
كفرنـا بالـدعاوى زائفـاتٍ ... فبالقرآنِ قـد وَضُـح المسـارُ

ومن اللافت للنظر في شعر الانتفاضة أن كثيراً من الدواوين جاءت عناوينها حول الحجر وأبطال الحجارة ومن ذلك ما يلي:

١- ديوان حجارة من سجيل للشاعر عمر بهاء الدين الأميري -رحمه الله- الذي قدم له بمقدمة طويلة عن الانتفاضة وأبطالها. ومن هذا الـديوان قصـيدة: الأطفال الزلزال[1]:

الله أكـبرُ دوّتْ ... تزلـزلُ الكفـارا
هـي الغيـوبُ تنـادي ... أن الزمـانَ استـدارا
فصـحوةٌ تتنـامى ... قـد عمّـت الأمصـارا
واللهُ يهـدي ويرعـى ... رجالَهـا الأبـرارا
وفي فلسـطين زحـفٌ ... يشـتدُّ ليـلَ نهـارا
تلاحـمٌ وامتـدادٌ ... فالكـلُّ جَـدّ وثـارا
بـأسٌ عنيـدٌ وطيـدٌ ... قـد وحّـدَ الأعمـارا

(١) حجارة من سجيل: ٧٢-٧٣.

إن أشبال الانتفاضة ينطلقون مكبرين، فيوقعون الرعب في قلوب اليهود الذين دار الزمان عليهم بعد ما كان لهم؛ فالصحوة الإسلامية التي تنامى زرعها قد أثمرت هذه الثورة، التي يرعاها الله جلّ شأنه. والمعارك متواصلة عنيفة بين أهل الحق وأدعياء الباطل حتى النصر والظفر بإذن الله.

ويتابع الشاعر وصفه المبتهج بالانتفاضة وأبطالها فيقول[1]:

فرب طفلٍ غريضٍ ... للحق ردّ اعتبارا
صار النساءُ رجالاً ... قاد الصغارُ الكبارا
من كل فجّ عميقٍ ... أفواجُهم تتبارى
وليس ذاك ((انتفاضاً)) ... بل الجهاد استطارا
العزمُ فلّ حديداً ... والكفُّ ترمي حجارا

يمجد الشاعر ذلك الشبل الصغير وبطولته الفريدة، كما يشيد شاعرنا بالنساء اللواتي استطعن بشجاعتهن المشاركة في هذا الجهاد الذي شارك فيه جميع قطاعات الشعب الصامد.

٢- أما الشاعر خالد أبو العمرين فجعل عنوان ديوانه: ((في القدس قد نطق الحجر)) وفي إحدى قصائده يقول[2]:

والطفلُ صار مجاهداً في قدسِه ... تطغى قنابلُه على كلِّ الكَذِبْ
لا تغمضوا أبصارَنا بخطابةٍ ... ملّتْ صداها الأذنُ وامتلأت قِرَبْ
ولتعلنوها للجهاد مسيرةً ... ونكون نحن لها وأولُ من وَثَبْ

(١) حجارة من سجيل: ٧٢-٧٣.

(٢) في القدس قد نطق الحجر: ٥٧.

لن نرتضي غيرَ التوحـــدِ رايـــةً والدينَ والنصرَ العظيمَ المرتقَـــبْ

هكذا انطلقت قوافي الشاعر مستوحية هذه الثورة الإيمانية، وممجدة إباء هذا الشعب المجاهد؛ فحجارته صارت قنابل تبث الرعب في قلب العدو المحتل. كمـــا حفّز شاعرنا إحساس الأمة بالتعريض بالواقع المرير الذي تحياه مقتصـــرة علـــى الخطب الرنانة في المحافل الدولية؛ فيطلق أحاسيسه ومشاعره المتألمة من هذا الجـــو القاتم مستنهضاً بني قومه لينفروا -تاركين الهوان والخنوع- إلى وحدة جهاديـــة ترتفع فيها راية ((النصر العظيم المرتقب)).

٣- ونسمع النغمة ذاتها عند الشاعر يوسف العظـــم في ديوانـــه ((الفتيـــة الأبابيل)) فيستلهم حادثة أصحاب الفيل كما استلهمها قبله الشاعر عمر الأميري في ديوانه ((حجارة من سجيل)). والشاعر العظم في القصيدة التالية يصف أبطال الحجارة بالفتية الأبابيل ويقدم لقصيدته بإهداء لهم يقول فيه: ((إلى المجاهدين من أبناء القدس وكل فلسطين، والمتوثبين من أبناء العربية والإسلام رمز تحية وتقدير وتباشير عزة وتحرير)) ويستهل القصيدة بقوله[1]:

حجارةُ القدسِ نيرانٌ وســـجيلُ وفتيةُ القـــدسِ أطيـــارٌ أبابيـــلُ
وساحةُ المسجدِ الأقصى تموجُ بِهِم ومنطقُ القدسِ آيـــاتٌ وتنزيـــلُ
والشعبُ يزحفُ إيماناً وتضـــحيةً ما عاد يوقفُ زحفَ الشعبِ تنكيلُ
وصيحةُ الشعبِ حراً في تدفقـــهِ -من المساجدِ- تكـــبيرٌ وتهليـــلُ
والقدسُ تزدانُ في ساحاتِها ارتفعتْ بيارقُ الحقِّ تحميهـــا بهاليـــلُ[2]

(١) الفتية الأبابيل: ١٣.

(٢) بهاليل: جمع بهلول وهو السيِّد الجامع لكل خير.

تكلم الحجرُ القدسيُ فانتفضتْ سواعدُ الصِّيدِ واندكت أباطيلُ
وجندُ صهيون قد خابت مطامعُهم ما عاد ينفعُهُم سجنٌ وترحيلُ

نسمع في الأبيات صوت الفرحة التي أثلجت صدر شاعرنا وهو يرى الفتية الأبطال يرجمون بالحجارة عدو الله، ويصور القدس وقد عمتها البهجة فرتلت الآيات ابتهاجاً بالانتفاضة. وينوه الشاعر بمشاركة الشعب بجميع قطاعاته في الانتفاضة جهاداً وتضحية، لا يثنيه عن ذلك تنكيل العدو ولا إرهابه.

ويؤكد الشاعر هذه المعاني فيما يأتي من أبيات فيقول[1]:

الطفلُ والشيخُ والأمُّ التي خرجت في كفِّها الموتُ للطغيانِ محمولُ
والقدسُ أرضُ العلا والمجد مذ عرفت يباركُ القدسَ قرآنٌ وإنجيلُ
راحت تحطّم قيدَ الذلِّ شامخةً لا ترتضي أن يذلَّ القدسَ تدويلُ
هذي بشائرُ يومِ النصرِ نعلنُها وليس في قولِها زيفٌ وتهويلُ
فالنصرُ يمسي قريباً حين نقصدُهُ والنصرُ حين يُرادُ النصرُ مأمولُ

وهكذا يرى الشاعر في الانتفاضة أملاً بالنصر والعودة إلى رحاب الأرض المباركة.

٤- وفي ديوان الشاعر محمود مفلح ((نقوش إسلامية على الحجر الفلسطيني)) نحس روح التفاؤل والأمل التي غمرت الشاعر؛ من خلال إشادته بفتيان قومه الذين جعلوا الحجر سلاحاً لهم، والتكبير شعارهم[2]:

---

(١) الفتية الأبابيل: ١٤-١٥.

(٢) نقوش إسلامية على الحجر الفلسطيني: ٥٣.

سيروا فإن لكم خـيلاً ومضـمارا وأمطِروهم مع التكـبيرِ أحجـارا
وقـاتِلوهم فـإن الله قـاتلُهُم فقد تولّوا علـى الأدبـارِ فُـرارا
سيروا على بركـاتِ اللهِ في زمـنٍ قد أنبتَ الصخرُ ريحانـاً ونـوارا
سيروا على بركاتِ اللهِ وانطلقـوا وحطموا الوحشَ أنيابـاً وأظفـارا
مدّوا إلى الشمسِ من أجسادِكم ألَقاً وسافروا في جفافِ الأرضِ أنهـارا
وذكّرونـا بأيـامٍ لنـا سـلفتْ فقد نسِينا ((شُرَحْبيلاً وعَمّـارا))

إننا نسمع رنة الفرح عالية في القصيدة، فيبارك الشاعر سير أولئك الأبطال الذين يدافعون عن كرامة الأمة ويقاتلون ألدَّ أعدائها؛ فهم النور الذي يبدّد ظلام الواقع المرير، وهم الأنهار التي تغمر الأرض بعد جفافها، وهم أحفاد الصـحابة الأفذاذ من أمثال شرحبيل بن حسنة وعمار بن ياسر.

٥- وآخر ديوان -بين أيدينا- يحمل اسم الحجر شعار الانتفاضة للشـاعر أحمد محمد الصديق بعنوان: ((هكذا يقول الحجر)) ومنه قصيدة ((خطـاب إلى جندي صهيوني)). يقول[١]:

منك الرصاصُ ومنّي الصدرُ والحجرُ والجرحُ نهرٌ من الأضـواءِ ينـهمرُ
إن الأعاصـيرَ في جـنبيَّ جامحـةٌ يكفيك من عصفِها ما تحملُ النذرُ
وكل حبةِ رملٍ في ثـرى وطـني تكاد من غيظِها المكظومِ تنفجـرُ
علامَ تبعثُك الأحقـادُ في صَـلَفٍ وفيك يسكنُ داءُ الجبنِ والخـوَرُ؟
((اللهُ أكـبرُ)) إذ دوّتْ مجلجلـةً فكلُّ شيءٍ مدى الآفـاق منبـهرُ
في كـل مئذنـةٍ جيـلٌ يرددهـا ورايـةٌ تتحـدى وهـي تنتشـرُ

(١) هكذا يقول الحجر: ٧٨.

يعرب الشاعر في الأبيات عن تحدّيه السافر لصلف الصهاينة فأبطال الحجارة يواجهون رصاص العدو بصدورهم. ويرى الشاعر في هذا الحجر نذيراً بالحرب القادمة ضد الطغاة اليهود فلقد تأججت كل حبة رمل في الأرض المباركة من هول ما يجري فوقها من عسف وظلم من اليهود الجبناء، الذين كُشفت طبائع الخور والخوف فيهم أمام حجارة الأبطال الصغار. ويعلن الشاعر -في عزة وتفاؤل- أن الجيل الذي رفع شعار ((الله أكبر)) وانطلق من المساجد سيكون له الظفر بإذن الله.

ويؤكد الشاعر هذه المعاني مشيداً بالشعار الذي حملته الانتفاضة، وممجداً النساء اللواتي شاركن في الانتفاضة في قوة وشجاعة؛ فيرى كل من شارك شموساً يفوق ضوؤها ضوء الشمس والقمر؛ فلقد جادوا بأرواحهم مجاهدين في سبيل الله[1]:

((اللهُ أكبرُ)) يا دنيا براعِمنا ... تفتحتْ فهي في أكمامِها شررُ
والمحصناتُ بما في النارِ من حُممٍ ... خضن الغِمار وهنّ الطهرُ والخفرُ
وكلُّ ليثٍ هصورٍ في سلاسلِه ... إذا تململَ فالأهوالُ تنكسرُ
على مشارفِ هذا العصرِ قد وقفوا ... شمساً بها يستضيءُ الشمسُ والقمرُ
جادوا بما ملكوا حباً وتضحيةً ... فأخصبَ الجنيُ لما أخصبَ المطرُ

وبالإضافة إلى ما سبق فإن هناك دواوين أخرى احتفت بالانتفاضة المباركة وأكتفي بالإشارة إليها:

- ((شموخ في زمن الانكسار)) للشاعر عبد الرحمن العشماوي.

---

(١) هكذا يقول الحجر: ٨٠.

- ((قلبي بين يديك)) للشاعر خالد الحليبي[١].
- ((شموخاً أيتها المآذن)) للشاعر محمود مفلح.
- ((القدس في العيون)) للشاعر كمال رشيد.
- ((غريب الديار)) للشاعر عبد الرحمن بارود[٢].
- ((لواعج)) للشاعر عبد الرحمن زيد السويداء[٣].
- ملحمة الأقصى للشاعر عدنان النحوي.

تلك إلمامة يسيرة عن رد فعل الانتفاضة في الشعر الإسلامي أشرت فيها إلى غيض من فيض مما قيل ابتهاجاً بهذه الثورة الإسلامية، فقد كانت هذه المرحلة أقوى وأثرى في حصادها الشعري من المرحلة السابقة (١٩٦٧م-١٩٨٧م)

---

(١) خالد سعود الحليبي: ولد في الأحساء في السعودية سنة ١٣٨٣هـ، حصل على الشهادة الجامعية في اللغة العربية من جامعة الإمام محمد بن سعود، وحصل على الماجستير في الأدب العربي، له ديوان شعر مطبوع، انظر ديوان الشاعر قلبي بين يديك: ١٨٣.

(٢) عبد الرحمن بارود: ولد في بيت دارس بفلسطين عام ١٩٣٧م، ودرس فيها، ثم هاجر مع أهله عام ١٩٤٨م إلى غزة، وأتمّ دراسته هناك، وبعدها التحق بجامعة القاهرة حتى نال الشهادة الجامعية وتابع دراسته حتى حصل على الدكتوراه، ويعمل الآن أستاذاً بجامعة الملك عبد العزيز في جدة، له دراسات أدبية عديدة، وديوان مطبوع. انظر مختارات من الشعر الإسلامي الحديث: ١٢٢.

(٣) عبد الرحمن بن زيد السويداء: ولد ببلدة المستجدة جنوب حائل في السعودية عام ١٣٥٨هـ، تلقى تعليمه الأول في بلدته ثم حصل على الشهادة الجامعية تخصص تاريخ في جامعة الملك سعود بالرياض، له عدة مؤلفات أدبية وديوان شعري. انظر الاتجاه الإسلامي بالشعر السعودي الحديث: ١٠٦-١٠٧.

وذلك أمر طبعي في ظل النشوة التي هزّت النفوس، وأعادت إليها الثقة وجددت فيها الأمل.

ومن الواضح أن معظم الشعراء الذين تحدثوا في هذه المناسبة قد اجتمعوا على عدة معانٍ من أبرزها: تعبيرهم عن مدى الفرحة التي أثلجت صدورهم، وإبراز الدوافع التي فجرت الانتفاضة، والدعوة إلى مناصرة الشعب المجاهد، والاحتجاج على واقع الأمة، واستنكار الخنوع والتخاذل المقيت الذي أصبحت الأمة لا تنفك عن إلفه، فأطلق الشعراء مشاعرهم مستنهضين بني قومهم إلى وحدة جهادية تُرفع فيها راية النصر بإذن الله.

obeikandl.com

المبحث الثاني

رثاء الشهداء وتهوين الموت في سبيل العقيدة

((إن الشهادة مرتبة من أعلى المراتب في هذا الدين، ولا يحوزها ويحرزها إلا من كان أهلاً لها، والله -عزّ وجل وحده- الذي يعلم أي الناس أحق بها من غيرهم فيختارهم لذلك))[1].

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [آل عمران: ٣/١٦٩-١٧٠].

تكشف الآيات عن مصير الشهداء، الذين قتلوا في سبيل الله، فهم أحياء عند ربهم؛ لهم خصائص الأحياء؛ فهم ﴿يُرْزَقُونَ﴾، وهم ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ وهم ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ بمصائر من وراءهم من المؤمنين، وهم موصولون بالأحداث فوق ما نالهم من فضل الله، وفوق ما لقوا عنده من الرزق والمكانة[2].

((فما هي رزيّة إذن ولا خسارة أن يستشهد في سبيل الله من يستشهد، إنما هو اختيار وانتقاء وتكريم واختصاص))[3].

---

(١) شهداء فلسطين: ١٢.

(٢) انظر في ظلال القرآن: ١/٥١٦.

(٣) المرجع السابق ١/٤٨١.

((ثم هم شهداء يتخذهم الله ويستشهدهم على هذا الحق الذي بعث به الناس، يستشهدهم فيؤدون الشهادة، يؤدونها أداءً لا شبهة فيه، ولا مطعن عليه، ولا جدال حوله، يؤدونها بجهادهم حتى الموت في سبيل إحقاق هذا الحق وتقريره في دنيا الناس))[١]. فما أسعد الشهيد بهذا الجزاء الأوفى في الآخرة!.

وقد انبرى الشعراء لهذا الموضوع؛ لزرع حب الشهادة في النفوس، والتأكيد على قيمة الشهيد ومنزلته عند الله.

فها هو ذا الشاعر كمال رشيد يرثي الشهداء في قصائد كاملة. ومن ذلك قصيدته ((الشعر للشهيد)) يقول[٢]:

كل القصائد للشهيدْ ... للبأسِ للعزمِ الشديدْ
للحقِّ للإخلاصِ لِلـ ... ـإيمانِ للنصرِ الأكيدْ
هو هكذا إن رامَ أمـ ... ـراً لا يلين ولا يَحيدْ
يمضي له والنورُ في ... جنبيه يقتحمُ البعيدْ
هو لا يبالي إن يكنْ ... موتٌ ففي موتٍ خلودْ
متجرّدٌ من كل أطـ ... ـماعِ الدُنَى لا يستزيدْ
وهو الذي يسعى إلى الـ ... ـجلّى ويمعن في الصعودْ
هو يعرف الأطماعَ والـ ... أوجاعَ ما خصمي يكيدْ
رفضَ القعودَ على الهوا ... نِ وذمَّ أخلاقَ العبيدْ

(١) في ظلال القرآن: ١/٤٨١.

(٢) القدس في العيون: ٥٦.

يشيد الشاعر ببطولة الشهيد وعزمه وإيمانه بالحق الذي من أجله أرخص مهجته، وهو مؤمن بالحياة وبالهدف من وجود الإنسان المسلم؛ فبذل حياته في سبيل الكرامة الإسلامية، فكُتب له الخلود.

ثم يُجري الشاعر الحديث على لسان الشهيد مخاطباً أمه معرباً لها عن تبرمه بحياة الذل والمهانة؛ فلم يعد عيده فرحاً كعيد الناس يلبس فيه الجديد، ولا حبه لأرضه غناءً ونشيداً، وإنما بتخليصها من رجس اليهود. ثم يقرر الشهيد أن الأجيال الجديدة لابد أن تتعلم معنى العزة والصمود، وتضع الحرية نصب أعينها، وتبذل في سبيل ذلك أرواحها لتفوز بإحدى الحسنيين: النصر أو الجنة وهي تشتاق نفسه إليها[1]:

يا أمُّ ما عيدي كعيـ ـدِ النّاسِ بالثوبِ الجديدْ
يا أمُّ ما حبي لأر ضي بالغناءِ وبالنشيدْ
لكن بتحريرِ البلا دِ من الأفاعي من يهودْ
لابد أن يتعلمَ الـ أطفالُ ما معنى الصمودْ
لابد أن نجتثَّ شا راتِ العبور على الحدودْ
إما مغالبةُ العدا والعيشُ في الوطن السعيدْ
أو أن تكونَ لنا الشها دةُ وهي أغلى ما نريدْ

وفي قصيدة ((شهداء عَنَبْتَا)) للشاعر نفسه، يرثي شهداءها بعد أن قدم لقصيدته بقوله: ((عَنَبْتَا: مدينة صغيرة، داهمها المستوطنون اليهود أكثر من مرة، وكان لها بطولات وشهداء)).

---

(١) القدس في العيون: ٥٦.

ثم قال[١]:

من ترابِ المجدِ من أرضِ عَنَبْتَا ... يا شهيدَ الحقِّ والصدقِ طلعتا
جُدتَ بالروحِ ولم تبخلْ بها ... ومع الصفوةِ في البأسِ وقفتا
ورميتَ السهمَ في وجهِ العِدا ... مثلما ترجمُ شيطاناً رميتا
مثلما النيزك في ليلِ الدجى ... يلعن الظلمةَ والوهمَ نزلتا

يعلي الشاعر من شأن الشهيد سليل الماجدين، الذي بذل نفسه رخيصة في سبيل الله، وقاتل الأعداء في جرأة وشجاعة، فكان النيزك الوهّاج في ليل الدجى مبدّداً ظلام الخوف والوهم والخنوع.

ويسترسل الشاعر في تمجيد هذا البطل فيراه رضيع المجد وأكرم الناس. ويصف أم الشهيد بأنها كالخنساء التي وهبت بنيها الأربعة شهداء في سبيل الله، ومن يبلغ هذه المكانة والعزة والمجد غير أم الشهيد؟ فهذه البطولة هي ما تؤمله في ابنها الشجاع الذي رفع رأسها عالياً وأعلى قدرها بين الناس[٢]:

يا رضيعَ المجدِ، يا عينَ الرضا ... أكرم الناس لدى الناسِ غدوتا
أمكَ الخنساءُ من يبلُغُها ... عزةً مجداً وإيماناً وسمتا
ربما كانت ترجّي أن ترى ... في بنيها فارساً شهماً فكنتا
فرفعتَ الرأسَ منها عالياً ... وجعلتَ النجمَ للخنساءِ بيتا

وفي المقطع الأخير من القصيدة، يبين الشاعر تعلق نفس هذا البطل بالشهادة وسعيه إليها؛ لينال جنان الخلد، فسعى إليها في طريق شائك وعر، وسكب دمَه

(١) القدس في العيون: ٥٧.

(٢) القدس في العيون: ٥٧.

الطاهر فكان قبساً من نور يرشد من بعده إلى طريق النصر. وإذا كانت القدس هي القنديل، فهو الزيت الطاهر الذي يوقد ذلك القنديل[١]:

يا حبيبَ اللهِ قد نلتَ الذي ... كنتَ ترجو وجنانَ الخلدِ نلتا
رُدتَ دربَ النصرِ وعراً شائكاً ... دمُك الطاهرُ في الأرضِ سكبتا
أنت فينا قبسٌ يرشدُنا ... وإذا اخترنا مثالاً كنتَ أنتا
وإذا القدسُ غدَتْ قنديلَنا ... فلقد أصبحتَ للقنديلِ زيتا

((أم الشهيد)) قصيدة ثالثة للشاعر نفسه، يُطَمْئِن فيها أم الشهيد إلى مثوى ابنها في جنة الخلد. فيقول[٢]:

اطمئني أمَّ الشهيدِ اطمئني ... هو في الخلدِ في جنانِ عدنِ
نالها مخلصاً بفعلٍ عظيمٍ ... لم ينلْها بالقولِ أو بالتمنّي

وبعد هذا المطلع الحافل بالوجدان الشعري، يقدم الشاعر صورة مشرقة للشهيد وبطولته الرائعة حين جاد بروحه وهي أنفس ما يملكه الإنسان، وكانت الشهادة أمنيته ورجاءه من ربه جلّ وعلا. ويجري الشاعر على لسان الشهيد حَمْدَ الله وشكره على حسن خاتمته في هذه الفانية[٣]:

جاد بالنفسِ إذ تعزُّ نفوسٌ ... وهو أمرٌ وعرٌ على النفسِ مضني
قال ربي على العدوّ أَعِنّي ... وإلى مدرجِ الشهادةِ خذني
أنت ربُّ الوجودِ فيك مآلي ... أنتَ ربُّ الآجالِ تُحيي وتُفني

(١) القدس في العيون: ٥٧.
(٢) المرجع السابق: ٥٨.
(٣) القدس في العيون: ٥٨.

ولك الحمدُ إن أطلتَ بقائي ولك الحمدُ إن ختمتَ بحسنِ

ويصور فداء هذا الشهيد وجهاده للعدوِّ، حتى سقط مضرجاً بالدماء الطهور. فيقول[١]:

نال من خصمِه وحَقّقَ سُؤْلاً ورأى الموتَ مقبلاً رأيَ عينِ
مات فوق الثرى الطهورِ شهيداً وروى الأرضَ بالنّجيع كمزنِ

وفي نهاية المطاف ختم الشاعر قصيدته بالحديث الموجه إلى أمّ الشهيد التي حُقَّ لها أن تفخر بابنها البطل، وتحتفل به؛ فلسان السماء والأرض تلهج بالثناء عليها. يقول[٢]:

إيهِ أمَّ الشهيدِ يا خصبَ أرضي لا تقولي مضى وودع إبني[٣]
أنتِ أمُّ الرجالِ أم الأماني وعليك السماءُ والأرضُ تثني
فاجعلي ليلةَ الشهيدِ احتفالاً مهرجاناً، وليس ليلةَ حزنِ

ويفرد الشاعر يوسف العظم قصيدة لشهداء ثلاثة، انضموا إلى قافلة شهداء الانتفاضة؛ فأهدى قصيدته لهم قائلاً: ((إلى الذين روّوا بدمائهم الطاهرة أرض مدينة ((ليماسول)) -بجزيرة قبرص- وهم في طريقهم لضرب مواقع العدو الغاصب على أرض فلسطين. إلى الشهداء الأبرار: قاسم محمد ومحمد باسم التميمي ومروان الكيالي))[٤].

---

(١) القدس في العيون: ٥٨.

(٢) المرجع والصفحة نفسها.

(٣) جعل همزة (ابن) همزة قطع لضرورة الوزن.

(٤) الفتية الأبابيل: ٤٣.

وبدأ قصيدته راوياً قصة أولئك الثلاثة الأحرار قائلاً[١]:

ثلاثةُ فرسانٍ تباروا إلى العلا ... وكل يغذّ السيرَ نحو مصيرِهِ
مضى (قاسمٌ) في موكب الحق ظافراً ... أميرٌ إذا باهى اللّوا بأميرِهِ
وثانيهمُ يلقى الردى وهو ((باسمٌ)) ... له من جبينِ الفجرِ طلعةُ نورِهِ
وثالثُهُم ((مروان)) لله دَرُّه ... يردد ساحُ المجد رجعَ زئيرِهِ

يسترجع الشاعر صور الشهداء الثلاثة ويصفهم بالفرسان المتسابقين إلى العلا، إلى ساح الجهاد والاستشهاد. ((فقاسم)) أمير موكب الحق الظافر، و((باسم)) يلقى الردى وهو جذلان يعلو محياه نور كنور الفجر، و((مروان)) ينقضّ على الأعداء كالأسد الهصور.

وبعد هذه الصور الثلاث لأولئك الشهداء يقرر الشاعر أن مآلَهم -بإذن الله- إلى جنان الخلد، حيث الحور الحسان تنتظرهم ضيوفاً كراماً في حياة طيبة خالدة[٢]:

وكلّ بإذن الله مأواه جنةٌ ... شهيدُ العلا قد زُفَّ فوق سريرِهِ
أحاطت به الحورُ الحسانُ كرامةً ... فأقبلَ ضيفُ الخلدِ يزهو بحورِهِ
ففازوا بجنّات وطابت حياتُهم ... كما طابَ في الفردوسِ صفوُ غديرِهِ

ويسترسل الشاعر في حديثه العذب عن أولئك الشهداء موضحاً صفاتهم وسيرتهم في حياتهم[٣]:

---

(١) الفتية الأبابيل: ٤٥.

(٢) المرجع والصفحة نفسها.

(٣) المرجع نفسه.

سلاحهمُ الإيمانُ والعلمُ والنُّهـى ... إذا تاه أفّاقٌ بزيف قشورِهِ
لكل مقامٍ عندهم خيرُ منطقٍ ... وكلُّ مقالٍ فيه رأي خبيرِهِ
فللمدفع الرشّاشِ صوتٌ وموقفٌ ... وللقلمِ المعطاءِ عذبُ صريرِهِ
وصيّتُهم عند الرحيلِ وعيتُها ... وقد ألهبتْ في القلبِ صدقَ شعورِهِ
إذا الشعبُ لم يجمع على الدينِ رأيَه ... تولى ((غرابُ البين)) كلَّ أمورِهِ

لقد كان الإيمان والعلم والعقل الراجح سلاحاً في معركتهم الجهادية، كما كان منطقهم فصيحاً بليغاً لأنه مدعّم بالفعل والبذل والفداء وحمل السلاح جنباً إلى جنب مع القلم المحرّض المجاهد. ويجري شاعرنا على لسان الشهداء وصية خالدة إلى الأمة بأن الشؤم والهلاك سيرافقها ما لم تتمسك بعرى الدين القويم وتذد عن حياض مقدساتها.

ويختم الشاعر قصيدته بتعريض ساخر بالمتنعمين بطيب العيش والمتمرغين في أوحال الوهم، في حين يروم الفرسان الأحرار الشهادة والعزة بعد مجاهدة الظلم والطغيان في سبيل إعلاء كلمة الله فيقول[1]:

إذا المارقُ المغرورُ عاش منعّماً ... وداعب في الأوهامِ طيشَ غرورِهِ
فللفارسِ المغوارِ عزٌّ وجنةٌ ... وللظلمِ والطغيانِ لفحُ سعيرِهِ

أما الشاعر أحمد محمد الصديق في قصيدته: ((أين من يسمع؟)) فقد أشاد بأبطال الحجارة الذي أرخصوا أرواحهم في سبيل حرية أرضهم المقدسة. فقال[1]:

---

(١) الفتية الأبابيل: ٤٧.

أسرابُ طيرٍ تفتدي عشَّها ... كالأُسدِ في الغاباتِ بل أروعُ
أكْرِم بهم أكْرِم بنَبت الحِمى ... كم أذهلوا الدنيا وكم أبدعوا
باعوا لربِّ العرشِ أرواحَهم ... وهم بغير الحقِّ لم يصْدَعوا
من مسجدٍ هبّوا إلى مسجدٍ ... نعمَ الرجالُ السُجَّدُ الرّكَّعُ
صدورُهم درعٌ لأوطانِهم ... كم من شهيدٍ طاهرٍ شيعوا
جراحُه تفوح مسكاً وفي ... جبينه نضارةٌ تلمعُ

يعبّر الشاعر عن شجاعة أبطال الحجارة تعبيراً يوحي بالشعور العميق بالحب والإعجاب والتقدير فتنثال المعاني من قريحته تصف الأبطال بأنهم سرب من الطيور الجارحة تفتدي عشَّها بكل قواها، كما يشبههم بالأُسد في الغابات تحمي عرينها.

فلقد أذهلوا الدنيا بجرأتهم وشجاعتهم حين باعوا أرواحهم لله، منطلقين من المساجد التي ألِفتهم سُجَّداً ركّعاً، وإن صدورهم لهي الدرع الذي يحمي وطنهم، ودماء شهدائهم تفوح مسكاً مصداقاً لقول رسول الله ﷺ[٢]: فيما رواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه قال: ((والذي نفسي بيده لا يُكلَم أحد في سبيل الله -والله أعلم بمن يكلم في سبيله- إلا جاء يوم القيامة واللون لون الدم والريح ريح المسك)).

والشاعر نفسه في قصيدة أخرى يؤكد هذه المعاني على لسان شهيد يوجه حديثه إلى جندي صهيوني إذ يقول[٣]:

---

(١) هكذا يقول الحجر: ٤٨.

(٢) صحيح البخاري: ٤/٤١٢ (٢٨٠٣).

(٣) هكذا يقول الحجر: ٧٨.

منك الرصاصُ ومني الصدرُ والحجرُ ... والجرحُ نهرٌ من الأضواءِ ينهمرُ
إن الأعاصيرَ في جنبيَّ جامحةٌ ... يكفيك من عصفها ما تحملُ النّذرُ
علامَ تبعثُك الأحقادُ في صلفٍ ... وفيك يسكنُ داءُ الجبن والخَوَرُ
منك الرصاصُ ومني الوجهُ مختضبٌ ... كالأفقِ بالشفقِ الورديّ يأتزرُ
دمُ الشهيدِ صداقُ الحورِ يدفعه ... لله وهو إلى الفردوسِ يبتدرُ

إن هذا البطل يتحدى العدو في جرأة وشجاعة غير مكترث برصاصه وأسلحته، لأن هذا البطل إنما يضع روحه على كفه في جهاده لأعداء الدين، فدم الشهيد هو مهر الحور العين في جنات الفردوس.

ويمجد الشاعر عدنان النحوي شهيد الانتفاضة بعد أن أعرب -في بداية قصيدته- عن ابتهاجه بالطفل الثائر، ثم يقول[1]:

والروابي تلفتتْ لتراه ... شعلةً في الدجى وقلباً يجودُ
نفحتْه كلُّ الزهورِ شذاها ... وحبتْه أزكى العطورِ الورودُ
فإذا بالدماءِ نفحةُ مسكٍ ... فوّحتْ عندها رُباً ونجودُ
فتمنّت كلُّ الزهورِ شذاها ... وتمنّته كاعبٌ وخرودُ
أروعُ العطرِ ما تجودُ به الرو ... ح وتعطيه مهجةٌ ووريدُ
وإذا بالربا دويٌّ ينادي ... والليالي صدى هناك بعيدُ
أنا عطري من الدماءِ الغوالي ... كلُّ شبرٍ ثوى عليه شهيدُ

إن شاعرنا يعلي من شأن هذا الشهيد الذي جاد بنفسه فكان شعلة وضاءة

(١) ملحمة الأقصى: ١٤٤-١٤٥.

في ظلمة العسف والجور، فجرى دمه الطهور على ثرى أرضه مسكاً يعطر الربا، فأروع عطر هو دم الشهيد الذي بذل مهجته في سبيل كرامة أرضه.

ثم يتابع الشاعر حديثه عن الشهيد الذي رمز به لكل فدائي غدت بسالته جزءاً من بسالة شعبه؛ فيصوّر قطرة دمه الزكي وهي تروي ملاحم التاريخ المجيد على هذه الأرض الطاهرة. ثم يعلن الشهيد أنه من أمة ماجدة بناها الرسول -عليه الصلاة والسلام- وما أوحى إليه ربه جلّ وعلا، كما أعلن عن مراميه وأهدافه، إنه أرخص دمه في سبيل إعلاء كلمة الله وتضحيةً في سبيل كرامة الإسلام وعزته فكان مآله إلى الجنان. وهو رمز لكرامة الإنسان المسلم الحرّ الوفيّ لدينه وأمته. إذ يقول[1]:

وسرت قطرةٌ من الدم تروي ... حيثُ تسري ملاحماً وتعيدُ
كلُّ ما في الربا أصاخ وأصغى ... عجباً والورى أصمُّ عنيدُ
أنا من أمة بناها رسولُ اللـ ... ـهِ والوحيُ والكتابُ المجيدُ
أنا لله قد سكبتُ دمائي ... ولربّي تضرّعي وسجودي
عبق الطهرِ في دمي وحياتي ... نفحةُ الخيرِ والعطاءُ الفريدُ
أنا عطري من الجنانِ ونفحي ... صبّه الشوقُ منه والتوحيدُ
أنا معنى الإنسانِ جوهرُه الحرّ ... وعزمٌ على الوفاءِ أكيدُ

وفي قصيدة ((قيود)) للشاعر عبد الرحمن بارود، نجد الشهيد ((رمزاً للبطولة الحقة والتفاني المطلق في سبيل الوصول إلى إرضاء الله وإلى إعادة الحياة الإسلامية))[2]. إذ يقول[3]:

---

(١) ملحمة الأقصى: ١٤٥.

(٢) مجلة المشكاة: عدد ١٠- السنة الثالثة- ١٤٠٩هـ- ص٥.

(٣) غريب الديار: ٩٨-٩٩.

وفرســـائُنا كنجـــومِ الســـماءِ وأكفانُنا البـــيضُ فـــوق البنـــودْ
رِدِ الموتَ تملكْ عنـــانَ الحيـــاة شهيداً وتعتـــقْ رقـــابَ العبيـــدْ
أأعـــداء (اللهُ أكـــبرُ) موتـــوا فـــ (اللهُ أكـــبرُ) لحـــنُ الخلـــودْ
وما الأرض؟ إني أرى الأرضَ أصْـــ ـــغر من قطرةٍ من دماءِ الشهيدْ

يعلي الشاعر في الأبيات من شأن المجاهدين المتعطشين إلى ذرى الشـــهادة. فالشهيد يتحدى أعداءه بصيحة ((الله أكبر)) التي تنطلق مع كل حجر، وتســـدّد رمي كل قذيفة بإذن الله. ثم يقرر الشاعر أن قطرة الدم هي التي تُراق في ميـــدان الجهاد لهي أكبر من آفاق الأرض الممتدة.

وها هو ذا الشاعر محمود مفلح في ديوانه ((نقوش إسلامية علـــى الحجـــر الفلسطيني)) ينظم قصيدته بمناسبة مرور عامين على الانتفاضة الباســـلة، ونجـــده يحيّي الشهيد ويمجّد الشهادة في قوله[1]:

عاد الزمـــانُ الفـــذُّ يـــا وطـــني وعلا صهيلُ المجـــدِ يـــا عمـــرُ
أرضُ الشهادةِ كيـــف تنكرهـــا والمســـكُ في أرجائهـــا مطـــرُ
أرضُ القناديـــلِ الـــتي ســـطعتْ في ليلِنـــا والليـــلُ معتَكِـــرُ
أرضَ الحجـــارةِ غـــرّدي فأنـــا في مســـمعي التغريـــدُ ينـــهمرُ

يستلهم الشاعر صفحات التاريخ الذهبية التي ضمت أخبار الفتوح الإسلامية لأرض الشهداء، فها قد أورت الانتفاضة زناد الثورة والغيرة من جديد، فانتشـــر عبير المسك في أرجاء الأرض المباركة، أرض القناديل التي بددت ظلام الاستسلام وأرض الحجارة التي باتت تنشد لحون الأمل المرتقب.

---

(١) نقوش إسلامية على الحجر الفلسطيني: ١٧.

ثم يوجه الشاعر حديثه إلى الشهيد ((الماضي إلى دمه)) البطل الذي يسقي الأرض بدمه الطهور فيورق شجر العزيمة في نفوس الثائرين. إن أسطورة ((العدو الذي لا يقهر)) تبددت أمام انتفاضة الشعب المجاهد. فقد علّم هذا الشهيدُ الأمةَ لغة النصر والظفر، وطريق الخلاص. وخَطَّ بدمائه فصول الملاحم، في حين تخاذلت الأمة عن نصرته، فيا له من قمر ساطع في ليل الهزيمة والتخاذل![1]:

يا أيها الماضي إلى دمِه ... يسقى العطاشَ فيورقُ الشجرُ
أسقطتَ ألفَ خرافةٍ لهمُ ... وأتتْ على أمجادِهم سقرُ
علمتَنا لغةً تهزّ بنا ... كلَّ الغصونِ فيسقط الثمرُ
وأريتَنا كيف الظلامُ هوى ... والجاهليةُ كيف تنتحرُ
وكتبتَ فصلاً في ملاحِمنا ... وسواك ما قالوا ولا سطروا
لولاك لم يحفل بنا قمرٌ ... يا أنت ما أحلاك يا قمرُ!

وللشاعر محمد منير الجنباز[2] مساهمة في هذا المجال في قصيدته ((شبل الحجارة)). إذ يقول[3]:

في كل يومٍ مرّ الشهور نرى ... عرساً لطفلٍ شهيدٍ وجهه القمرُ
يمضي فيأتي على إثرٍ صحابتُه ... يتابعون مسيراً خطّه القدرُ

---

(١) نقوش إسلامية على الحجر الفلسطيني: ١٧-١٨.

(٢) محمد منير الجنباز: ولد في حماة في سورية عام ١٩٤٣م حصل على الشهادة الجامعية في الجغرافيا ودبلوم التأهيل التربوي والماجستير في الإعلام. له ديوان شعري مطبوع: انظر مدرسة بدر وشعراؤها: ٩٠.

(٣) مجلة التوباد- السنة الرابعة، عدد ١٣، ص٦٠.

وأرضُنا قد بدت عطشى تريد دماً ... هذا الفداء وهذا الجرح ينفجـرُ
توثّب الطفلُ كالبركانِ منـدفعاً ... يقدمُ الـروحَ لاوانٍ ولا حـذرُ
يرمي الحجارةَ لا يخشى حديدَ لظىً ... وقد بدا رجلاً ما عـاد يحتقَـرُ
سعى إلى الموت ليس اليأسُ يدفعُه ... بل للفداءِ بقلبٍ ما بـه خـورُ
أرى الخيوطَ لفجرٍ قـام يصـنعُه ... جيلُ الحجارةِ صبّارون ما ضجروا
رَتلُ الشهادةِ يمضي في مواكبِـه ... رغم الجراحِ بنورِ الحـق ينتصـرُ
ومن أرادَ حياةَ العزِّ جـاد لهـا ... بالروحِ والمالِ بالإقـدامِ يـأتزرُ

يشيد الشاعر باستمرار الانتفاضة وتصاعدها، ففي كل يوم ينضـم شـهيد بطل إلى قافلة الشهداء. فأرض الجهاد متعطشة إلى الدماء الزكيّة لترويها من أجل صيانة شرف الأمة الذي هو أغلى من كل نفيس. ويحيّي الشاعر شجاعة ذلـك الطفل الجسور الذي يُقْدِم على الموت بلا أدنى خوف. فصارت هذه الثورة أملاً مرتقباً وخيوط فجر قادم. ويؤكد الشاعر أن قافلة الشهادة مستمرة ومتزايدة رغم الممارسات التعسّفية من العدو. ثم يورد الشاعر حكمة بليغة مؤداها أن حياة العزّ لا تتحقّق إلا بإرخاص الروح والمال ذوداً عن حياض الحرمات.

وخلاصة القول: إن الشعراء مجّدوا الشهيد في سبيل العقيـدة، ورأوا فيـه الباحث الصادق عن الخلاص من ظلمات العسف والخنوع والاستسـلام، إمـا بالنصر في الدنيا ورفع كلمة الله في الأرض، وإما بنيل الشهادة والفوز بالجنـة في الآخرة وهما الحسنيان، وهذه هي البطولة الحقّة.

هذا، وقد ساير الشعراء خطا ذلك الشهيد مجاهداً ومغالباً العـدو ثم قتـيلاً يعطّر المسك جراحه، ثم خالداً منعماً في جنان الخلد. ولا مراء أن في ذلك زرعاً

لحب الشهادة في قلوب المسلمين، وتأكيداً على قيمة الشهيد ومنزلته عنـــد الله؛ لأنه إنما يجود بأنفس ما عنده، كما قال الشاعر:

يجود بالنفسِ إذ ضنّ البخيلُ بهـــا والجودُ بالنفسِ أقصى غايةِ الجودِ

obeikandl.com

المبحث الثالث

الحل الإسلامي هو الطريق لإنقاذ فلسطين

إذا كانت مرحلة نكبة حزيران ١٩٦٧م قد دفعت الشعراء إلى النظر إلى الآفاق المستقبلية نظرة أمل وتفاؤل -مع أغلال الهزيمة- فإن مرحلة الانتفاضة المباركة ١٩٨٧م كان شعرها أقوى في طرح الحل الإسلامي، متمثلاً في الوحدة الإسلامية والجهاد لإنقاذ فلسطين. فالانتفاضة أحيت الأمل في النفوس وأعادت الثقة والتفاؤل بالغد الظافر. فراح الشعراء يبثّون في الأمة روح النقاء والعزيمة والعزة الإسلامية الشماء؛ وقد انعكس ذلك جلياً في شعر الانتفاضة. فإيجابية المؤمن تتمثل في سعيه الدؤوب إلى العمل؛ فالعمل هو الترجمة الواقعية للإيمان. فليس الأمر مجرد مشاعر إنما هو مشاعر تفرغ في حركة لإنشاء واقع وفق التصور الإسلامي للحياة. ومن هنا جاءت أهمية الدعوة إلى الأدب الفيّاض بالتصور الإسلامي والبعد بآفاق الأدب عن دروب السلبية وكهوف التشاؤم[1].

وشارك في تلك الدعوة إلى الجهاد عدد كبير من الشعراء في حمية صادقة وحماسة متدفقة، وقد اخترت منهم تسعة شعراء:

الأول: محمود مفلح في قصيدته ((صرخة))، وقد استهلها بلهجة ساخرة لاذعة موجهة إلى المتخاذلين عن الجهاد في فلسطين، وليس همهم سوى العيش الرغيد.

---

(١) انظر الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق: ٤٠.

وفي المقابل يبرز صورة المجاهدين الأباة. فيقول[١]:

نحن قــومٌ أعزنــا اللهُ بالإســـ ـــلامِ يا قومُ فانهضــوا وأفيقــوا
وابعثوا النارَ في رمــادِ الليــالي وأضيؤوا كما تضــيءُ الــبروقُ
أمــتي أمــةُ العقيــدةِ يــا قــو م وهــذا ســلاحُها الموثــوقُ
حسبها أنها استطالت على الشمـ ـــسِ ومنها الفاروقُ والصــديقُ

يقتبس الشاعر مقولة عمر الخالدة: ((نحن قوم أعزَّنا الله بالإسـلام ومهمـا ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله)). ويبثّ الشاعر في بني قومه روح التوثّب والعزيمـة؛ ليشعلوا النار التي علاها رماد الخنوع، ويعودوا بروقاً تضيء للعالم طريق الهداية. ويذكّر الشاعر بماضي الأمة المجيد مستمداً من شخصيتيّ الصديق والفاروق رضي الله عنهما إيحاءات العزة والمواقف المضيئة في مسيرة التاريخ؛ ليعود بقبس منها إلى الحاضر الأليم لعله من عثرته ينهض ومن لهوه يفيق[٢].

٢- أما الشاعر عمر بهاء الدين الأميري فيقدم لقصيدته -في الحـث علـى الجهاد- بقوله: ((ليس الأمر سهلاً ولا قريب المنال، ولكن له موعـداً في قـرار الأقدار -وهي صاحبة القرار- يدور الفلك نحوه، ويسير بنا إليه؛ ولا بد أن نبلغ القصد ونحقق المجد لأنفسنا وللعالمين بعون من الله العزيز القدير)). ثم يقول[٣]:

النواميسُ في ركابِك يــا إســـ ـــلامُ تمضي وتستحثُّ الزمانــا
سترى أعينُ العصــورِ انبلاجــاً مــن دياجيرِنــا لنــورِ هــدانا

(١) شموخاً أيتها المآذن: ٤٠.
(٢) انظر الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق: ٩٥.
(٣) حجارة من سجيل: ١٤٤.

وبعد هذه المقدمة المفعمة بالأمل والثقة بنصر الله، يسترسل الشاعر في نظرته المتفائلة[١]:

كان دينُ الإسلامِ مذ كان هدياً ... للبرايـــا ورحمـــةً وأمانـــا
وستبقى فينـا حـوافزُه المثـــ ... ـلى ويبقى في أمرِنـا فرقانـا
سنوالي جهادَنـا في فلسطيـــ ... ـن نقيمُ الصلاةَ في ((أقصـانا))
موعـدٌ مـبرمٌ إذا مـات عنـه ... شيخُنا القرمُ فيـه ينمـو فتانـا
علَمُ الكون في غدٍ ونشيدُ الـــ ... ـكونِ طُرّاً وخطُّنـا وخطانـا
ونجاة الوجـود في القـدرِ المـر ... صـودِ أمـرٌ يحكّـم القرآنـا

ينادي الشاعر بأن البطولات التي انبثقت من هذه الانتفاضة المباركة لتدلل على أن روح أمة الإسلام لا تني تجدد في القلوب الإيمان والعزيمة تستمدها من القرآن الكريم. ويؤكد الشاعر استمرارية الجهاد في فلسطين حتى التحرير؛ لينعم المسلمون بصلاة آمنة مطمئنة في رحاب الأقصى الشريف. وسيظل ذلك الهدف ماثلاً نصب أعيننا تتوارثه الأجيال عَلَماً ونشيداً وهدفاً سامياً.

٣- وإذا كان الشاعر الأميري يطرح الحل الإسلامي -من خلال هذه النظرة الواثقة بالنصر-، فإن الشاعر خالد الحليبي يطرحه من خلال تمجيده لأبطال الحجارة. يقول[٢]:

يا عربُ هذي صفحةٌ قد سُطِّرتْ ... بدمِ الشبابِ فأشرقتْ فتعلموا
أبطالُ غزّة علموكم بالزجا ... جةِ والحصى كيف المدججُ يُهزَمُ

(١) حجارة من سجيل: ١٤٥.

(٢) قلبي بين يديك: ٧١.

فرأيتُم أطفـــالَهم يجـــرون للـــــ موتِ الزؤامِ وليس فيهم محجـــمُ
ورأيتم شيباً بهـــم روحُ الشـــبا بِ توثبتْ وعلى الشهادةِ صمّموا
وشبيبةً لهبُ الحماســـةِ في دمـــا ئهـــم بـــنيرانِ العزيمـــةِ يُضـــرَمُ
قد أُشربوا روحَ الجهادِ فزلزلـــتْ شبحَ المخـــاوفِ فالمنايـــا سُـــلَّمُ

يهيب الشاعر بالأمة أن تتعلم من أولئك الأبطال؛ مذكياً فيهم روح الجهاد وموقظاً هممهم. فأبطال غزة يجاهدون العدو بسلاحهم البسيط، ومـــع ذلـــك يوقعون الرعب في صدور الجنود الصهاينة، ويفرون من أمامهم هـــاربين. كمـــا يشيد الشاعر ببطولة الأطفال الذين يقدمون على الموت بلا أدنى تهيّب، وكذلك الشيوخ والشباب، الذين ألهبت الحميّة الدينية عزيمتهم فصمدوا مجاهدين في سبيل إعلاء كلمة الله وفي سبيل كرامة الأمة.

٤- وفي قصيدة ((شموخ)) للشاعر أحمد محمد الصديق يعلن الشاعر في نبرة عالية- شموخ الأبطال وشجاعتهم رغم سياسة القمع الصهيونية. فيقول[1]:

حطّموا ساعدي ودقّوا عظـــامي لستُ أُحني على المذلـــةِ هـــامي
لا أبالي الردى وإن عربد الليـــــ ـــلُ وضجت عواصـــفُ الآلامِ

وينشط الشاعر في إذكاء روح الجهاد والاحتفال بالأمجاد الإسلامية؛ فيـــبين أن هذا الجهاد إنما يسير على سنن القادة أمثال أمين الحسيني وعز الدين القسّام، وعلى خطا القادة الفاتحين الأوائل الذين ملؤوا الأرض بنور الهداية وبدّدوا سجف الظلام.

---

(١) هكذا يقول الحجر: ٢٩.

يقول[١]:

نحـــن لله مـــا حيينـــا جنـــودٌ ... قد رضعنا الإباءَ قبـــل الفطـــامِ
ونهضنا على خطا القـــادة الغـــرّ ... ونهجِ ((الأمينِ)) و((القسّـــامِ))
أوَلسنا أحفادَ من فتحوا الدنـــــ ... ـــيا وسادوا بالعدل في الأقـــوامِ؟
نقتفي دربَهـــم جهـــاداً وإيمـــا ... ناً ونمحو بالنورِ جـــيش الظـــلامِ

ويتوجه بالحديث إلى الأمة المتقاعسة عن نصرة الحق فيقول[٢]:

أدخيـــلٌ ويســـتبدُّ بأرضـــي؟! ... وجبـــانٌ يصـــولُ كالضـــرغامِ
تلك واللهِ ربِّ قاصمةُ الظهـــــ ... ـــرِ فهبّي يـــا أمـــةَ الإســـلامِ
أم تُرى في الحضيضِ لَذَّ لكِ العيـــ ... ـــشُ وطابت وخامـــةُ الانهـــزامِ
وتراخى الرعاةُ وانفرط العقـــــ ... ـــدُ وعاث الذئابُ في الأغنـــامِ
يالخزي القعودِ في موقـــف البـــذ ... ل وعـــارِ الخنـــوعِ والإحجـــامِ

ينظر الشاعر إلى سواد الواقع المضني، ويرى أحداثه قاصمة الظهر؛ حيث العدو الجبان يجوس في البقعة المباركة يدنس طهرها، ولا من يهب إلى تطهيرهـــا من دنس العدو ورجسه. ويتساءل في مرارة: هل استمرأت الأمـــة العـــيش في الحضيض والتمرغ بأوحال الهزيمة؟ فالراعي إن غاب عاثت الذئاب في أغنامه. فيا لخزي القعود في موقف البذل!.

وينهي الشاعر قصيدته بتذكير الأمة بالأمجاد السالفة مؤكداً أنّها أمة الأمجاد التي سطرها التاريخ في بيض صفحاته، ويتساءل في استنكار؛ هل يضيع الأقصى

(١) هكذا يقول الحجر: ٣٠.
(٢) المرجع نفسه: ٣١-٣٢.

المبارك ويُترك للعدو الباغي؟ كما يدعو إلى هدم السدود الوهمية بيننا وبين مقدساتنا، إنها سدود الخور والهزيمة والخنوع، ودعا أيضاً إلى استعادة كرامة الأمة بالجهاد؛ لتتسنّم ذرى المجد؛ حيث كانت وحيث ينبغي أن تكون[1]:

أمتي أمةُ المجادةِ ماذا ... ما عهدناك للخنى والذّامِ؟
أيضيعُ الأقصى ويُترك في الأغـ ... ـلالِ تترو منه الجراحُ الدوامي؟
حال ما بيننا جدارٌ من الوهـ ... ـم فدُكّوا معاقلَ الأوهامِ
واسترِدوا كرامةً أهدروها ... واركبوا للمنى متونَ الحِمامِ
آن أن تستعيدَ قمتَها الرو ... حُ وترقى لفجرِها المتسامي
وتقودَ التاريخَ في موكبِ الشمـ ... ـسِ وتحظى بالمجدِ بين الأنامِ

٥- ويوجه الشاعر كمال رشيد حديثه إلى الفتاة الأسيرة التي لا تنفك تبكي وتستنجد بأبناء الإسلام الغُيُر؛ فيجيبها الشاعر مطمئناً[2]:

يا أختِ لا تتبرمي فغداً ... نأتيكِ نحمل رايةَ النصرِ
فالثورةُ الحمراءُ قد ظهرتْ ... كالشمسِ تسطع ساعةَ الظهرِ
ثارَ الصغارُ على عدوهِمُ ... وتجملوا بالعزمِ والصبرِ
شهباً على أعدائِهم نزلوا ... والعزمُ في جنباتِهم يسري

ينظر الشاعر إلى المستقبل نظرة متفائلة واثقة بالنصر من عند الله. ويرى في الانتفاضة إرهاصة بالثورة التي سيبزغ فجرها مبدداً ظلام الحاضر، ويشيد ببطولة الصغار الذين انطلقوا في همة وعزيمة، كالشهب الساقطة على العدو الطاغي.

---

(١) هكذا يقول الحجر: ٣٣-٣٤.

(٢) القدس في العيون: ٥٣.

ويسترسل الشاعر في حديثه المتفائل مؤكّداً شمولية الانتفاضة وانبثاقها في نواحي البلاد، وفي القدس ونابلس ورفح وفي كل بيت؛ فقد عمّت الثورة الأرض المباركة، ولا عجب في ذلك ((فالبطولة شيمة الحر))[١]:

في القدسِ في نابلس في رفحٍ ... في غزة الشماءِ كالنسرِ
في كل أرضٍ كلّ حاضرةٍ ... في القريةِ العزلاءِ في الوعرِ
لم يبقَ بيتٌ في مرابعنا ... إلا وفيه صرخةُ الثأرِ
لا تعجبوا هذي أرومتُنا ... إن البطولةَ شيمةُ الحرِّ

وفي قصيدة ((أمي تناديني)) للشاعر أبي فراس محمد النطافي[٢]، يحكي الشاعر عن معاناته بعيداً عن وطنه وأهله، فيستهلّ قصيدته بقوله[٣]:

أمي تناديني وترقبُ عودتي ... في صوتِ كلّ مبشرٍ ومنادِ
تحثو على الأبوابِ تسأل أهلَها ... عنّي ومطويّ الجوانحِ بادِ

ثم يلجأ إلى أسلوب النداء إلى أمه واثقاً بالعودة إلى بلاده مجاهداً؛ وفي ذلك إثارة واستنهاض لهمم بني قومه؛ ليهبّوا لنجدة أهليهم في الأرض السليبة، ويرفعوا رؤوسهم ثائرين لكرامة الأمة، كالنسر لا يرضى بما دون القمم.

---

(١) القدس في العيون: ٥٣.

(٢) أبو فراس محمد ذيب النطافي: ولد في نطاف (من قرى القدس) عام ١٩٤١م تلقى تعليمه في قرية (بيت دقو) وفي (القبية) ثم ارتحل إلى عمان وتخرج من دار المعلمين، ودرس في بيروت والقاهرة، ثم حصل على الدكتوراة في الأدب من جامعة الأزهر، وعمل في الكويت والسعودية والأردن، وله إنتاج في الشعر والنقد والمسرح، (من بطاقة معلومات أولية من رابطة الأدب الإسلامي).

(٣) ديوان الانتفاضة، أحمد موسى الخطيب: ٥٩.

يقول[١]:

لبّيكِ يـــا أمـــي فـــإني عائـــدٌ رغم العدوّ، ومنعـــةِ الأســـدادِ
لبّيـــكِ إني عائـــدٌ فتـــرقّبي عَودي إليكِ بُعـــدتي وعتـــادي
وتسمّعي صوتي يجيئـــك هاتفـــاً أمـــي أرددهـــا مـــن الأكبـــادِ
سأعود يا أمي وأهـــدم حـــاجزاً بيني وبينـــك شـــامخَ الأطـــوادِ
سأعود مرفوعَ الجـــبينِ كرامـــةً كالنسرِ يطوي زرقـــةَ الأبعـــادِ

وفي ختام قصيدته يصف يوم العودة، يوم معركة الثأر، فيقول[٢]:

سأعودُ بـــين مصـــفّحٍ ومجـــترٍ في يـــومِ كـــرٌّ قـــاتمٍ وجـــلادِ
سأعودُ واللهبُ المؤجّجُ في دمي حُمَم تـــدمّرُ زمـــرةَ الأوغـــادِ
لا تحســـبيني غائبـــاً لا تُرتَجـــى لي عـــودةٌ لأحـــبتي وبـــلادي
آتون يـــا أمـــي لهيبـــاً محرقـــاً يكوي فؤادَ الغاصـــبِ الجـــلاّد
لا يستطيع البطشُ وقفَ تقـــدمي ما دام كفّي ممســـكاً بزنـــادي
إني على الجبلِ الأشـــمّ منـــارةٌ لقوافـــلِ الأبطـــالِ والآســـادِ
فالأرضُ تزأرُ والسماءُ صـــواعقٌ والبحرُ ملتهبُ الجـــوانحِ صـــادِ

إنه يوم الأخذ بالثأر من زمرة الأوغاد يوم أن تلتهب حمم الثأر في نفـــوس الثائرين؛ فتحرق قلوب الغاصبين. ويجعل الشاعر الطبيعة تشـــاركهم الغضـــب والثورة؛ فالأرض تزأر، والسماء ترسل صواعقها، والبحـــر ملتـــهب الجـــوانح متعطشٌ للثأر.

---

(١) ديوان الانتفاضة: ٥٩.

(٢) المرجع نفسه: ٦٠.

٧- والشاعر خالد أبو العمرين يعبر عن مدى تفاؤله بالانتفاضة، مؤكداً انبثاق فجر التحرير، محتجاً على الشعارات كلها عدا شعار ((الله أكبر)) الذي حمله أبطال الأمة الأفذاذ أمثال خالد بن الوليد:

كما عبر الشاعر عن أمنيات شباب الأمة بالشهادة في سبيل الله، يقول[1]:

يا إخوتي انقشع الضبا ... بُ ولاحَ فجرُكمُ الوليدْ
كلُّ السيوفِ تكسّرتْ ... لم يبقَ إلا ابنُ الوليدْ
طوبى لمن طلب الشها ... دةَ في مقارعةِ اليهودْ
من عنده النصر العزيـ ... ـز وصاحب البطش الشديدْ
((اللهُ أكبرُ)) في قلو ... بِ الشعب تقصفُ كالرعودْ
في فتيةِ الإيمانِ لا ... خورٌ ولا جبنُ العبيدْ

ويسترسل في وصفه لفتية الإيمان، جند المعركة؛ الراكعين الساجدين الحاملين كتاب الله دستوراً ومنهاجاً[2]:

الراكعين لربهم ... الدائمين له سجودْ
آمنتُ بالقرآنِ دسـ ... ـتوراً وهدياً للجنودْ
آمنت بالفتحِ المبيـ ... ـنِ يدكّ أركانَ الوجودْ
آمنتُ بالفردوسِ دا ... راً للمجاهدِ والشهيدْ

(١) في القدس قد نطق الحجر: ٥٢.

(٢) في القدس قد نطق الحجر: ٥٢.

ويدعو الشاعر في مختتم مطولته إلى الجهاد دعوة صريحة إلى حرب مقدسة تتحرر من قيود الوهم، ولا تخشى في الله لومة لائم، لتمسح عار الهزيمة والمذلة، وتكون الشرارة والوقود الذي يوقد نار الحرب ويغذّيها[1]:

يا قومُ حيَّ على الجهادِ فإنه النصرُ الأكيدْ
سنخوضُها حرباً مقدّسةً ونهزأُ بالقيودْ
أنا مسلمٌ أخشى الإلهَ ولا أخافُ من العبيدْ
فلتنهضوا ولتمسحوا عارَ المذلةِ والخمودْ
إن لم تقودوا الزحفَ من يا أختوتي سوف يقودْ؟
لنكون نحن شَرارَها ونكون نحن لها الوقودْ

٨- ويخاطب الشاعر عبد الرحمن العشماوي أبناء أمته حاثّاً على الجهاد حتى النصر، قائلاً[2]:

يا أمةً ما زلت أشدو لها شدوَ محبٌّ مدنَفِ الخاطرِ
لا تقفي يا أمتي واركبي ظهرَ حصانٍ جامحٍ ثائرِ
لا تسكني أرض الخنوعِ التي ترفع فيها هامةُ الفاجرِ

يدعو الشاعر أمته إلى التحرّك لتحرير الأرض المقدسة التي تنتظر تخليصها من نير الاحتلال. ويقرن العشماوي ذلك باستدعاء الشخصيات الإسلامية والنظر إليها نظرة وجدانية تستوحي وهج الإيمان والشوق إلى روح التوثب والحمية لدى

(١) في القدس قد نطق الحجر: ٥٢-٥٣.

(٢) شموخ في زمن الانكسار: ١٤٨-١٤٩.

الصحابة الأفذاذ من أمثال بلال بن رباح وياسر أبي عمّار، وهما رمز الفداء والتضحية والصمود في سبيل العقيدة. فيقول[١]:

سألتُ أحلامي سؤالاً له ... طعمُ اللظى في شفةِ الشاعرِ
من أين لي اليومَ بشهمٍ له ... عزمُ ((بلالٍ)) ورضا ((ياسرِ))
يا أمةَ الإسلامِ قولي لنا: ... ((أما لهذا الليل من آخرِ؟))

٩- ومن ديوان ((الفتية الأبابيل)) للشاعر يوسف العظم قصيدة يهديها الشاعر ((إلى الشامخين الأباة في قطاع غزة)) ويستهلّها بقوله[٢]:

مزّقيها يا غزةَ الأحرارِ ... وارفضي العيشَ في ثيابِ العارِ

ويتابع حديثه المتحدّي -بعد هذا المطلع الثائر- موجّهاً خطابه إلى غزة الأحرار:

وارفعي رايةَ الجهادِ وقولي: ... قد علتْ همّتي وعيل اصطباري
علمتْنا الأيامُ أن التنادي ... للمنايا يديرُ خيرَ حوارِ
وحديثُ اللسانِ من غيرِ فعلٍ ... يُلبس الخانعين ثوبَ الصَّغارِ
سوف ألقاهُم بخير سلاحٍ ... من صخورٍ تنداحُ أو أحجارِ
ليزول الظلامُ من كل بيتٍ ... وتشعّ القلوبُ بالأنوارِ

وهكذا تتوالى نداءات الشاعر لغزة الأحرار مهيبة بها إلى رفع راية الجهاد بعد اصطبار على الداء المتمثل في الاحتلال الغاشم. فقد عرفت سبيل الخلاص، إنه الجهاد وحمل السلاح، وكل ما عدا ذلك خنوع وصغار واستسلام. ولا بد أن

---

(١) شموخ في زمن الإنكسار: ١٤٩.

(٢) الفتية الأبابيل: ٢١-٢٤.

يثمر الجهاد ثمرته فتتبدد سحب الظلام لتشع شموس العزة والظفر. قال تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣/١٦٠].

وبعد، فإنه لمن الواضح أن الشعراء عظّموا هذه الثورة المباركة تعظيماً كبيراً وربطوا بين هذه الانتفاضة الجهادية وبين المعارك الحاسمة في التاريخ، وهذا التعظيم من ناحية وذلك الربط من ناحية أخرى يعكسان أحاسيس الشعراء بالانتفاضة وهي أحاسيس التفاؤل الغامر بقرب الخلاص من الاحتلال البغيض.

كما أن هذا الطرح القوي للحل الإسلامي المتمثل بالجهاد يجلو دور الإنسان المسلم في العالم؛ فهو نور وضياء لأمة الإسلام وللناس كافة، مهما هاضت جناحيه عهود الضياع والهزيمة؛ لكن روح الوثبة كامن في الأعماق ينادي بعودة الإنسان المسلم لتسلّم دوره من جديد، ويستنهض في الأجيال وثبة الإيمان والقيام بأداء الأمانة[1].

وبعد، فإن شعر الانتفاضة ليستحق أن يفرِد له الباحث كتاباً خاصاً؛ فالقول فيها لا ينتهي والحديث عنها لا يُمَلّ، وتصوّرها محبّب إلى النفس؛ فهي إسلامية المبدأ والمسار. ولو حصرنا كل ما قيل فيها ما استطاع له الفرد حصراً؛ ولكن حسبي أن أكون قد وضعت قدمي على أول طريق البحث في هذا الأمر الجلل الذي ابتعث الأمل في النفوس وأعاد إليها الثقة.

وإذا كانت هذه الانتفاضة قد غذّت الشعر الإسلامي، فإنها جعلت الشعراء الإسلاميين يفتشون في مخزونهم التاريخي عن البداية الصحيحة للفتوح الإسلامية الأولى ويتتبعون مسيرتها منهاجاً وعملاً حتى يصلوها بهذه الثورة الإسلامية المباركة.

---

(١) انظر الإنسان في الأدب الإسلامي، تأصيل وتحليل: ٤١٥.